

نحو بناء جديد لمسألة النحن .قراءة في المشروع النقدي لمحمد أركون

بن عياد فاطمة الزهراء
جامعة وهران

الملخص:

ينطلق محمد أركون في مشروعه النقدي للفكر العربي الاسلامي من فكرة أساسية مفادها أنه و بما أن الذهنية العربية أو العقل الإسلامي لا يتقبل و لا يستطيع إنتاج أية فكرة أو العمل على التنظير لأي مشروع فكري ثقافي دونما العودة للنص الإلهي – القرآن - أو النبوي – الحديث - . الذي شكل ويشكل إلى اليوم الإطار العام والقاعدة الأصل التي ينطلق منها في بناءه لمنظومته الفلسفية الإبيستيمولوجية وتصوره لطبيعة سير العلاقات المعرفية. والرهان المطروح اليوم أمام المفكر المسلم هو العمل على محاولة بناء وإعادة التأسيس لمنظومة معرفية تخلل الإيديولوجيا السائدة، وإعادة القراءة والاجتهاد من خارج المنظومة الموروثة لا الاستدراك داخلها فقط، بحيث تأسس لثقافة الاختلاف والتعدد من موقع الرحمة والإثراء المعرفي والثقافي لا من موقع الهيمنة ونبذ الآخر المختلف في الرؤيا.

الكلمات المفتاحية: المشروع النقدي؛ مسألة النحن؛ محمد أركون.

"إن العلم الأنثروبولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة متفهمة، وضرورة تفضيل

المعنى على القوة والسلطة، ثم تفضيل السلم على العنف، أو المعرفة المنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي. وإذا ما تم الإجماع على هذا التوجه المعرفي، فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة والخطاب النبوي الخاص . " محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص6 .

ينطلق محمد أركون في مشروعه النقدي للفكر العربي الاسلامي من فكرة أساسية مفادها أنه و بما أن الذهنية العربية أو العقل الإسلامي لا يتقبل و لا يستطيع إنتاج أية فكرة أو العمل على التنظير لأي مشروع فكري ثقافي دونما العودة للنص الإلهي - القرآن - أو النبوي - الحديث - . الذي شكل ويشكل إلى اليوم الإطار العام والقاعدة الأصل التي ينطلق منها في بناءه لمنظومته الفلسفية الإبتيمولوجية وتصوره لطبيعة سير العلاقات المعرفية . فإن المشكل الأول الذي يمكن الانطلاق منه لمعالجة الأزمة المعرفية التي يعيشها الفكر الإسلامي هي بالعودة إلى قراءة و إعادة قراءة هذا النص .

فالرهان المطروح اليوم أمام المفكر المسلم هو العمل على محاولة بناء وإعادة التأسيس لمنظومة معرفية تخلل الإيديولوجيا السائدة، وإعادة القراءة والاجتهاد من خارج المنظومة الموروثة لا الاستدراك داخلها فقط، بحيث تأسس لثقافة الاختلاف والتعدد من موقع الرحمة والإثراء المعرفي و الثقافي لا من موقع الهيمنة ونبذ الآخر المختلف في الرؤيا.

بعبارة أخرى، العمل على تفكيك آليات وبنيات اشتغال هذا الفكر ومن ثم إخضاعه لإعادة التركيب . خاصة لما يصطلح عليه محمد أركون بدائرة الـأمفكر فيه والمستحيل التفكير فيه؛ ويعني به كل ما عملت السلطة سواء الدينية أو السياسية على قمعه، ونعني ها هنا الاستخدامات الأيديولوجية للخطاب الديني، فالنظام المعرفي المنتصر دوما ما يسارع إلى " فرض روايته الرسمية لما حدث عن طريق القوة، ثم يسكت صوت الآخر ، صوت القوى المغلوبة أو المهمشة، ثم يحذفها تماما حتى لكانها لم توجد في التاريخ "¹.

وأبرز مثال هي المعتزلة التي حوربت واعتبرت خارجة عن السلطة في فترة من الفترات. في حين تبنتها السلطة السياسية حيناً آخر، وعملت على تبني أفكارها واعتبر كل من رفض فكرها خارجياً ورافضياً .

طبعاً، لا يمكن إنكار أن في كل مجتمع هناك تدخل للسلطة وضرورة لوجود قوانين تنظم البشر، ومن ثم هناك قانون وضعي بجانب القانون الإلهي أي المنزل، وأن كل مجتمع لا بد وأن يعمل على تكيف دوافع أفرادها وتحويرها، بحيث يتمكن من ضبطها وضبط الأهداف والنتائج، فهو بشكل من الأشكال ينظم ويشكل الرغبات والحاجات.

وانطلاقاً من هذا، نجد أن أي مجتمع ما إلا ويمارس دوراً قمعياً في إطار علاقاته بالبنى الاجتماعية القائمة " فالتطور الحضاري يقتضى تشديد القمع وإلحاقه بأشكال السيطرة

1 - محمد أركون ، قضايا في نقل العقل الديني ، تر. هاشم صالح ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1998 ، ص 150 .

التكنولوجية والأشخصية ولئن تنوعت أشكال السيطرة ، فإن ما لم يغيب أبدا هو سيطرة الإنسان على الإنسان " ².
لكن ما هو مرفوض هو أن يستحيل هذا الكبت المجتمعي إلى قمع، ويمتد إلى درجة أنه يحول بين أي شيء ما ووصوله إلى وعي الإنسان إذا ما وجد هو أنه لا يناسبه ، فنعلم " أن جوهر الكبت ما هو إلا إقصاء شيء و إبعاد له عن حيز الوعي، فالكبت حسب هذه الإحالة هو العملية النفسية التي تحول دون شيء ما ووصوله إلى الوعي وتحاول الإبقاء على أية خاطرة أو تمثّل خارجة " ³ .

وهذا ما يمكن أن نطلق عليه " بالقمع الزائد " الذي يكون مطبوعا بلا عقلانية واضحة، وهذا الحال الواقع فيه العقل الاسلامي بحيث لم يعد يسمح لأي تفكير بأن ينطلق من مقدمات لم يؤصل لها. وتمثّل الانتفاضة على هذه العملية القمعية الأوعية الراسخة في المخيال الاجتماعي الخطوة الأولى في سبيل التحرر .

فالمخيال يسيطر دوما سوسيولوجيا وسياسيا على المجتمع، وغالبا ما يساهم في تشكيل النظام المعرفي للمجتمع، وغالبا ما يساهم في تشكيل النظام المعرفي للمجتمع، وهذا يتجلى بوضوح في الأفكار الدينية أو المعرفية التي تمارس التعبئة الإجتماعية. " فالدين يهدف بصراحة إلى الرفع من شأن كرامة

² - محمد الجوة، مفهوم القمع عند فرويد وماركوز، تر. فتحي الرقيق ، دار الفارابي ، بيروت، لبنان، ط1 ، 1994 ، ص 132 ، 133 .

³ - المرجع نفسه، ص 88 .

الشخص البشري، ولكنه من جهة أخرى يشكل ذروة مقدسة متلاعب بها من قبل الفاعلين الاجتماعيين"⁴.

وفق هذا المشروع فقط، والقاضي بضرورة القيام بدراسة متعمقة للتراث الديني أو الثقافي بحيث تنطلق من النص الأصلي الأول ومحاولة قراءته وفهمه وفق آليات اشتغال الفكر المعاصر والخروج من الدائرة المسطرة من قبل الموروث، يمكن لنا أن نؤصل لفكر أو فلسفة عربية إسلامية مؤطرة وفق أطر علمية وفكرية أصيلة أصالة الهوية، قائمة على ثقافة النقد وقبول المغايرة، ومن خلال هذا يمكن لنا تحقيق التناغم في الوقت ذاته مع الفكر الإنساني ككل والطموح نحو الكونية .

إن النزوع الى احتكار الحقيقة لكل ذات جعلت الآخر — وإن كان من داخل المنظومة المعرفية أو الأيديولوجية — يسعى الى تأسيس إيديولوجيا وهوية خاصة به يلبسها رداء الحق — فوق الحقيقة — الأمر الذي نحى بمفهوم الاجتهاد من الرحمة — نسبة الى الحديث الشريف — الى نبد الآخر من موقع — التكفير — اخراجه عن الأنا الذاتوي — أي نحن —، فأصبح السؤال: إلى أي جهة أو أيديولوجية تنتمي؟ يحل مكان السؤال الفلسفي من أنت؟، الأمر الذي جعل العقل العربي الطامح الى التنوير يصطدم بجدار عتيق — لا أصيل — يتأسس على فرضية كون الاجتهاد الغرض منه الاصابة فقط لا غير، وهو الأمر الذي يؤكد هيمنة أطر التقليد وفكر الانغلاق بشكل يخلق التعصب في الذهنية العربية. وهذا

4 - محمد أركون، من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر. هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 2005 ، ص 55 .

ما ساهم في خلق الفكر الأرثوذكسي، وهو مصطلح استحدثه أركون لكي يعبر به عن ذلك الجانب الذي يقصد منه الصحة والاستقامة، فكل طائفة أو جماعة، غالبا ما تقرض افكارها على مجتمع ما رافضة كل مختلف فيه ، تعتبر طائفة ارثوذكسية.

من هنا ينطلق محمد أركون للاشتغال على فرضية مفادها ضرورة العمل على كسر السياج الدوغمائي المغلق الذي يلف العقل العربي بحيث لا يسمح له التفكير والإبداع من خارج الأفكار والمبادئ التي عمل على تأسيسها منذ القدم أي من خارج المفكر فيه، وبخاصة ان علمنا أن هذه الأفكار ما هي إلا اجتهادات وقراءات بشرية قدمها السلف للنص، والمشكل يتعاضم أكثر عندما يستلحق التقديس بهذه الأفكار أو كما يعبر عنها أكون بالمقدس المستلحق حتى وإن تعارضت مع النص الالهي .

إن القرآن الكريم هو بمثابة النص التأسيسي الأول في الإسلام، وقد تمخض عنه نصوص ثانية شارحة له أو معلقة عليه ، مما استدعى ظهور نص جديد . لذا يشدد أركون على ضرورة عدم الخلط بين النص الأصلي – الإلهي – الذي يتمتع بانفتاح فكري واسع جدا، وبين النص البشري الذي اكتسب مع مرور الوقت قدسية إلهية و تمركز داخل المخيال العربي الإسلامي باعتباره الأصل الأول، وغطى بشكل تام جدا على المعطى القرآني الأول بينما ما هو إلا محاولة بشرية للفهم . فلا تجب الغفلة على أن للنص دلالات حرفية وأخرى حافة به وهذا ما يجعل من عملية القراءة عملية محفوفة بالتوترات،

فالتمييز بين المركز والهامش، بين الأصيل والدخيل يستوجب "تنظيف اللغة بكل مفرداتها وتراكيبها من الدلالات الحافة والمحيطية، والموروثة من اللغة الأرثوذكسية، لكي نستطيع التفكير في الإسلام بشكل جذري أو بشكل علمي فلسفي" ⁵. و"مع سيل المعاني المتدفق عبر النصوص لا زالت تواجهنا مشكلة عميقة، وهي كيف يمكن أن نجد طريقة لقراءة عمل شخص آخر، و كيف يتأتى لنا أن نعرف كيفية قراءتها ما لم نكن نعرف شيئاً عن شخصية من قام بكتابتها ومن ثم لنا ان نقرأها" ⁶.

فإنه من الصعوبة بمكان، إيجاد نقطة محددة يمكن العودة إليها ما بين النص والحقيقة، خاصة إذا ما كان النص يفيض بالمعاني. فهذا يولد قراءات متعددة ولانهائية للنص الواحد. فما بالك بالنص الديني - القرآن - إذ نجده نصاً واسعاً جداً وذو معنى فضفاض ويحمل دلالات وتأويلات كثيرة، ودوماً ما رسخ الموروث دوماً فكرة أنه صالح لكل زمان ومكان، إذن سيكون من الجهل الاقتصار على التفسير القديم دونما محاولة القيام باجتهاد تفسيري يقدم لنا الطرح القرآني وفق منظور معرفي معاصر يعالج الأحكام المعاصرة.

وهذا من أبرز العوائق الإبتيمولوجية التي يعيشها الفكر الإسلامي التي هي بحاجة إلى عملية زعزعة وإزاحة، فقد

5 - محمد أركون ، الأخلاق و السياسية ، تر. هاشم صالح ، دار الإنماء القومي ، منشورات اليونيسكو ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990 ، ص 176 .

6 - مالوري ناي، الدين الأسس، تر. هند عبد الستار، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2009 ، ص 262 .

شكلت هذه النصوص الشارحة نصا مقدسا لا يمكن الخروج عنه، مما أعاق التفكير خارجها . طبعاً لا يصرح بهذا علناً لأن التفسيرات المختلفة للقرآن من قبيل تفسير ابن كثير والطبري تعتبر تفسيرات شارحة لا أقل ولا أكثر، لكن الإلحاح على العمل بها وتجريح كل من حاول النقد أو المخالفة والقول بما يخالفها، هو ما يجعلها إلى اليوم تعتبر نصوص صحيحة رغم مرور المئات من العقود هذا هو ما يستدعي القول بأنها الأمفكر فيه يعتبرها نصوصاً مقدسة .

إن كل مفسر أو باحث إنما يحاول أن يوصل المعنى الذي فهمه من النص الأصلي، لكن التساؤل المطروح أي هذه التفسيرات يمكن قبولها على أنها الأكثر صدقية ؟ و أيها تعتبر الأقرب إلى المعنى الأصل. ففهم النصوص يتطلب "أيضاً النظر إلى كيفية خلق القراء للمعاني، إما بوصفهم أفراداً أو أعضاء في جماعات تفسيرية، وهذا يعني أن النصوص تصبح لها معان محددة من خلال قرائها، وليس من خلال كتابتها فحسب" ⁷.

إذن وجب علينا التركيز على فكرة أساسية وهي ضرورة التمييز "بين المعنى وأثر المعنى، إذا ما علمنا أن هذا الأخير كان قد رسخ من قبل الخطاب الديني، تم تدعيمه من قبل خطاب الميتافيزيقا الكلاسيكية؟ أي تم ترسيخه وتدعيمه بصفته جوهرانياً، معصوماً، مقدساً، يتعالى على كل المشروطيات

⁷ - مالوري ناي ، الدين الأسس، تر. هند عبد الستار ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2009 ، ص 289

العرفية للغة ،و التاريخ ،و الذاكرة الثقافية الجماعية"⁸. قد يستغرب القارئ هذا القول ، لكن هذا هو واقع الحال بالنسبة للعديد من الأفكار التي أثبتت التحليلات التفكيكية أنها لا تتسجم مطلقا مع المعنى المراد من النص، ومن أبرز الأمثلة مجموعة من الأحاديث الموجودة والمثبة باعتبارها صحيحة في الصحاح قد أثبت فعلا تعارضها المطلق مع النص القرآني.

بالإضافة إلى هذه النقاط المذكورة أنفا علينا التذكير بأنه " دائما ما تكون النصوص الدينية جزءا من مجال أكبر وهو الأنشطة الثقافية من خلال قراءة النصوص الدينية القيام بفحص أكثر من محتوى هذه النصوص، ولكن أيضا فحص سياقها واستخدامها"⁹. من جانب آخر علينا عدم إهمال الانطباع الذي يخلفه النص لدى القارئ، بعبارة أخرى ما يصطلح عليه في الدراسات الحديثة " بنظرية استجابة القارئ " التي تعد من أهم المجالات المدروسة اليوم، فهي وإن ظهرت وطبقت بشكل عام على النصوص الأدبية إلا أنها امتدت لتستخدم على النصوص الدينية ومتابعة سياقاتها، بحيث تطرح أسئلة خاصة وعلى مستويات متعددة: من أين يأتي معنى النص؟ ما الذي أعطى له هذا المعنى؟ لماذا قدم بهذا الشكل دون شكل آخر؟.

بالإضافة الى دراسة سبب الأثر الواسع الذي يتركه نص دون غيره، فعلم الألسنيات المعاصر يميز بين عملية النطق،

8 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر سابق، ص 53.

9 - مالوري ناي ، الدين الأسس ، مرجع سابق ، ص 289 .

أو فعل إنتاج النص من قبل المتكلم، وبين المنطوقة أو العبارة التي هي النص المنجز أو المتحقق. أي النتيجة اللفظية الكلية لعملية النطق"¹⁰ ومن خلال هذه العملية يمكن للباحث أن يحدد درجة ومستوى تدخل الكاتب أو القارئ في إنتاج المعنى وبين الخيارات المعروضة من قبل الناطق أو المتكلم. لذلك وجد أركان في الارتكاز على العلوم الحديثة منفعة كبيرة، لإحداث تغيير إبستمولوجي يكسر التسيبج الواقع فيه الفكر العربي الإسلامي، واستبدال العقل الأهوتي بعقل استطلاعي منبثق من تلك الحاجة التغيير والبحث المستكشف.

هذه الأخطاء المعرفية والفكرية التأسيسية لقواعد الفكر الإسلامي، هي ما دفعت أركان للتأكيد على ضرورة إخضاع التراث الإسلامي لقراءة علمية نقدية منفتحة على أية استنتاجات فكرية جديدة، حتى وإن تعارضت مع سابقتها من الأفكار. وما يتيح لنا التوصل لمثل هذا التطور الإبستمولوجي هو الاستفادة من المناهج العلمية المستحدثة التي طورها الغرب لدراسة فكره الخاص به لما حققته من نتائج عادت عليه بالمنفعة.

فالمشكلة تتعلق "بالتأخر المريع الذي تعاني منه الدراسات العربية والإسلامية. فتراثنا غير مخدوم علمياً، أقصد غير مدروس وغير مكتشف ولا مضاء على عكس التراث الغربي.... وهو تأخر مرتبط بقوة بتلك المعالجة المعرفية

10 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر

سابق، ص 125

والوجودية والإيديولوجية لما كنت قد دعوته بالظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية¹¹.

من هنا الرغبة الشديدة المتولدة لدى أركون للقيام بمحاولة تفكيكية لتلك النظرة التقليدية للتراث و الراسخة منذ مئات السنين ، لكي تحل محلها نظرة جديدة تعتمد على العلوم الإنسانية الحديثة والمعاصرة، التي تميزت بأن آلياتها المعرفية تحاول أن تؤشكل كل فكرة مطروحة أو قراءة متداولة، أي إخضاعها لعملية تساؤل منطقي عقلي وترفع عنها الإكراهات المتنوعة، ومن خلال هذا فقط يمكن أن يكتسب الفكر العربي الإسلامي الطابع التحرري. إذن هناك حاجة للأخذ بالتجربة الغربية التي عنت بخلق المناهج والإشكالات الجديدة لدراسة علم التاريخ وعلم الأنثروبولوجيا وعلم الألسنيات وعلم السيميائيات، أخذا موظفا لقدرتها على زعزعت الأسس الدوغمائية المرتكزة عليها الأفكار العربية الإسلامية ومن ثم تفكيك وإعادة تركيب لتلك العلاقات الغير سوية، لا أخذا ثابتا محاكيا تماما لحذافير التجربة الغربية .

إن ما سبق من الذكر هو ما دفع بأركون للعمل على مشروع فلسفي نقدي اطلق عليه اسم "الإسلاميات التطبيقية"، وهو مشروع قائم بالدرجة الأولى ليحل محل الدراسات الإستشراقية أو كما يصطلح عليها بالإسلاميات الكلاسيكية، والتي وجه لها نقدا لاذعا بسبب التحيز الواضح الذي تجلّى في الدراسات الغربية للتراث الإسلامي بحيث لم تحاول العمل

¹¹ محمد أركون، نحو نقد العقل الإسلامي، تر. هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2002، ص 24 .

وفق الآليات المعرفية التي اشتغل عليها الغرب لتجديد تراثه الفكري. بل اكتفت بالوصف وإعادة طرح الأفكار كما وضعها الفقهاء والعلماء القدامى، أي بنفس الطرح الإيديولوجي والمسطر من قبل السلطة السياسية، دونما الخوض في البحث بجدية عما يطلق عليه أركون بدائرة الـأمفكر فيه والمستحيل التفكير فيه. ومحاولة الاشتغال على محاربة العقل الأرثوذكسي الذي أعاق التطور الحضاري لدى المسلمين." فالواقع أن المستشرقين يكتفون بالمعينة والتفحص السريري إن جاز التعبير لموضوع دراستهم ، أكثر مما يساهمون في الجهد التنظيري انطلاقاً من أمثلة وحالات تاريخية مختلفة عن تلك التي تغذي بشكل عام ممارسة العلوم الإجتماعية بوصفها منتجات للمجتمعات الغربية وأدوات لها"¹².

يورد أركون مثالا على ذلك فيقول "مثلا مارسيل غوشيه صاحب النظرية التي تقول بأن المسيحية هي الدين الوحيد الذي يقبل بالعلمانية، بالخروج من التدين التقليدي وبالتالي يتيح التطور ولا يقول شيئا عن الإسلام. بل وحتى الفلاسفة الكبار كبول ريكور وإيمانويل ليفيناس اللذين طالما تحدثا عن التراث اليهودي-المسيحي وحللاه بعمق من كافة النواحي لا يقولان كلمة واحدة عن الإسلام...وأنا أتساءل : لماذا كل هذا النبذ للإسلام؟ لماذا لا تطبق عليه المناهج التحديثية الرائدة نفسها

12 - محمد أركون ، الفكر الأصولي و إستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ، تر . هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت، لبنان ، ط 4 ، 2011 ، ص 295 .

التي طبقت على الدينين الآخرين ؟ أليس الإسلام ديناً كبيراً و
تراثاً تاريخياً طويلاً وعريضاً ؟¹³ .

من هنا كان الانطلاق الأركوني بالعمل على طرح
مشروع تفكيكي للبنيات المعرفية سواء المكتوبة أو الشفهية
ومن ثم إعادة التركيب، غايته الأخيرة تحقيق التطور
الحضاري والخروج بالإسلام من الدائرة الرسمية المغلقة
للافتتاح على الآخر المختلف عنه والمتشارك معه في
الإنسانية، والعمل لأن يستحيل القرآن من مدونة مغلقة إلى
منفتحة تدفع بالقارئ والباحث إلى الإبداع والاكتشاف بما هو
نص واسع خلاق. فلقد "أن الأوان بالنسبة الفكر الإسلامي لأن
يقطع إن لم يكن مع الخطاب التبجيلي الذاتي للذات، فعلى الأقل
يوازنه بخطاب آخر، وهو خطاب الفكر الجاد والمسؤول.
وأقصد بذلك أن عليه أن يتخذ القرار التالي: أن يتحمل
مسؤولية المخاطر الحديثة للمعرفة العلمية وذلك بالتضامن مع
جميع التراثات الثقافية الكبرى للبشرية"¹⁴. إن الهدف من
تطبيق الإسلاميات التطبيقية ليس زحزحة الدوغمانية التي
تعاني منها العقلية العربية الإسلامية فقط، بل الهدف يتعدى
إلى محاولة لإعادة بلورة عمليات تفكيكية تحليلية تركيبية تعمل
في النهاية على كشف المفكر فيه والآمكر فيه والمستحيل
التفكير فيه، ثم العمل على تحريره وإعادة صياغته على نحو

13 - محمد أركون تحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياقات الدوغمانية
المغلقة ، تر. هاشم صالح ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2011 ، ص 63

14 - محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، مصدر
سابق، ص 106 .

تاريخي حضاري جديد. وعليه يكون هدف محمد أركون، هو التطلع إلى تجاوز العمل الإbstيمولوجي الذي يعنى بدراسة التراث الإسلامي فقط، ليشمل العمل الشمولي الحضاري الحاضر أي "تعرية آليات اشتغال الفكر والممارسة السياسية".

أخيرا لا بد من التأكيد على أن إعادة التفكير في مسألة التراث الإسلامي من خلال المنظورات فلسفية التي فتحتها الانتربولوجيا والسيميائيات، سوف تجعل من الفكر الإسلامي فكرا قادرا على المساهمة بجدية في الفكر الإنساني الحديث والمعاصر. وأصبحنا امام ضرورة تستوجب اعادة طرح سؤال من نحن ؟ وعلاقة الأنا مع الأنا الآخر داخل الذات ؟ ومعالجة هذا المشكل المتجذر الذي فتح الباب أمام إشكاليات أخرى زعزعت النظام المعرفي الأمر الذي يستدعي تحديد مكوناته وميكانيزماته.

إن السؤال يمثل اليوم ضرورة ملحة، فهو استقصاء وغوص في الأعماق وحفر في الأسس وتقص عن الأصول، وهو في النهاية استئصال، استئصال يقتلع الجذور، لأن السؤال هو بحث.

به فقط يمكن أن نكشف عن هوية الإنسان وهوية المكان والزمان اللذان يؤطرانه والطريق الذي يرسمه لنا هو البداية لانطلاق الفكر الذي يؤدي إلى الحقيقة.